

# نَهْجُ الرِّجَالِ وَرَشْحَةُ طُلَاءِ الْحَانَةِ

لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي

١٠٦١ - ١١١١ هـ

تصحيح  
عبد الفيلح محمد الحلو

المجلد الأول

طبع بدار انجمن العلماء العرب  
عيسى البابي الحلبي وشركاه

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه تقي

١

استطاعت الخلافة العثمانية في تركيا أن تحكم قبضتها على البلاد العربية خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري ، وأن تخضع لميبتها الفئات التي كانت تسيطر على مقاليد الأمور فيها .

وكان النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري يعمل بين طياته صبغ الحياة في هذه الرقعة المترامية من البلدان الإسلامية بصبغة الحكم التركي ، وأصبحت الخلافة العثمانية امبراطورية مرهوبة الجانب ، عزيزة الكرامة ، تمتد سلطتها من المحيط الهندي ، إلى البحر المتوسط ، ثم إلى شواطئ الأطلسي ، أو بحر الظلمات كما كان يعرف .

ولقد أدركت الدول الأوروبية خطر هذه الإمبراطورية ، وبدأ الصراع معها في النصف الثاني من القرن الحادي عشر ، وأوائل القرن الثاني عشر ، ذلك الصراع الذي بدأه البنادقة بغاراتهم على الشواطئ التركية عن طريق البحر ، والذي تمثل في حروب النمسا ، ثم ما كان من اتفاق البنادقة وبولونيا والبابا ورهينة مالطة والروسيا والقوزاق وتسكانه مع النمسا ، وتسكويهم عصبة واحدة تعرف باسم ( Sainte-Alliance ) أي الاتحاد المقدس ، لمحاربة الدولة العثمانية ، ولم يوضع حد لهذا الصراع إلا بمعاهدة كارلوفيج ( Carlowitz ) سنة ١١١٠ هـ (١) .

(١) حقائق الأخبار عن دول البحار ١/٦١١ .

هذا الصراع بين الدولة العثمانية ، والدول الأوروبية ، صرفها - إلى حد ما - عن الاهتمام بما تحت يدها من ولايات عربية ، وجعلها تفكر بين حين وآخر في إصلاح أداة الحكم في تركيا نفسها ، فإن الحروب المستمرة أنهكت مالية الدولة ، وجعلت للعسكريين اليد العليا في تصرف الأمور .

ولقد تولى الخلافة في هذه الفترة أربعة من السلاطين ، هم <sup>(١)</sup> :

- |                 |   |
|-----------------|---|
| ( ١٠٥٨ - ١٠٩٩ ) | السلطان محمد خان الرابع ابن السلطان إبراهيم خان   |
| ( ١٠٩٩ - ١١٠٢ ) | السلطان سليمان خان الثاني ابن السلطان إبراهيم خان |
| ( ١١٠٢ - ١١٠٦ ) | السلطان أحمد خان الثاني ابن السلطان إبراهيم خان   |
| ( ١١٠٦ - ١١١٥ ) | السلطان مصطفى خان الثاني ابن السلطان محمد الرابع  |

وفي عهد هؤلاء السلاطين استطاعت الدول العربية أن تجد شيئاً من هدوء الحال <sup>(٢)</sup> ، الذي مكن العلماء والأدباء من الرحلة بين أقطارها ، والتلقي عن شيوخها ، والدرس والإفادة ، مما أتاح للعلم والأدب ، ازدهاراً عظيماً ، ونهضة شاملة .

مركزية كويتية

وفي هذه الفترة عاش محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين بن داود بن عبد الرحمن بن عبد الخالق الحبي ، الحموي الأصل ، الدمشقي المولد والدار ، الحنفي <sup>(٣)</sup> .

(١) انظر حقائق الأخبار ١/ ٥٨٦ - ٦١٣ .

(٢) انظر مقدمة الحبي لنفحة الربحانة ، صفحة ٧ من هذا الجزء .

(٣) سلك الدرر ٤/ ٨٦ ، وانظر في نسبه خلاصة الأثر ٣/ ٢٧٧ ، ٣٠٨ ، ٤٢٢ .  
وتجد ترجمة الحبي في سلك الدرر ٤/ ٨٦ - ٩١ ، وعقد له السؤال في آخر ذيل النفحة ترجمة اهتم فيها بجمع ما قيل فيه من المرائي ، وتحدث الحبي عن نفسه في آخر النفحة ، لومات ١٣٤٥ - ٣٥٠ ب من النسخة ١ ، اقتداء بلسان الدين بن الخطيب ، وأورد طرفاً من فصوله القصار ، وبعض رسالته ، وطرفاً من شعره ، يتضمن مقصورته النبوية ، وأرجوزته في الأمثال ، ومقطعاته ، وأبياته المفردة .

ولد بدمشق ، سنة إحدى وستين وألف<sup>(١)</sup> ، ونشأ بها في كنف والده .

ثم سلك طريق المعرفة ، وتلقى العلم على شيوخ أجلاء ، نعرف منهم :

١ - إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي الخياري ، المدني ، المتوفى سنة ثلاث وثمانين وألف<sup>(٢)</sup> ، حين ورد الشام .

يقول الحبي<sup>(٣)</sup> : « دخل - أي الخياري - دمشق ، مع الركب الشامي ، في ثمان وعشري صفر ، سنة ثمانين وألف ، فعظم بها قدره ، وانتشر ذكره ، وأقبل عليه أهلها ، وبذلوا في إكرامه الجهد . . . وأقام بدمشق ثمانية عشر يوماً » .

ثم يقول بعد أن ذكر رحلته إلى الروم : « ثم قدم دمشق ، واعتنى به أهلها كاعتنائهم به في قديمته الأولى ، وأخذ عنه من أهلها خلق كثير ، واجتمعت أنا به مراراً ، وأسمعت من أوائل الجامع الصحيح للبخاري ، وسمعت منه ، وأجازني بجميع مروياته ، وكتب لي إجازة بخطه ، في اليوم الثاني من رجب ، سنة إحدى وثمانين وألف » .

٢ - إبراهيم بن منصور القتال ، المتوفى سنة ثمان وتسعين وألف<sup>(٤)</sup> .

يقول الحبي<sup>(٥)</sup> : « وانفع به من الفضلاء مالا يحصى ، وجميع من نعرفه الآن بدمشق ، المتعينين بالفضل ، المشار إليهم من الجلة ، تلاميذه . . . وأنا ممن تشرفت بالتلمذة له ، وقد لزمته من سنة ثلاث وسبعين وألف ، إلى أن انتقل إلى رحمة الله ورضوانه ،

(١) سلك الدرر ٤/ ٨٦ ، ولكن السؤال يذكّر في الترجمة التي صنعها الأستاذ ، والتي صنعها إلى ذيل نقعة الريحانة ، أنه ولد سنة أربع وستين وألف .

(٢) سلك الدرر ٤/ ٨٦ ، وقد ترجمه الحبي في : خلاصة الأثر ١/ ٢٥ - ٢٨ ، ونقعة الريحانة ، ترجمة رقم ٣١٦ ، في قسم الخجاز .

(٣) خلاصة الأثر ١/ ٢٥ - ٢٧ ، وانظر ترجمة الحبي له في النقعة .

(٤) سلك الدرر ٤/ ٨٦ ، وقد ترجمه الحبي في : خلاصة الأثر ١/ ٥١ - ٥٣ ، ونقعة الريحانة ، ترجمة رقم ٥٦ ، صفحة ٥٦٦ من هذا الجزء .

(٥) خلاصة الأثر ١/ ٥٢ ، وذكر الحبي قريباً من هذا القول ، في نقعة الريحانة ١/ ٥٦٧ .

فقرأت عليه مواطن من التفسير ، وأخذت عنه الحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ،  
والبيان ، والمنطق ، والأصليين ، وشيئا من التصوف والأدب .

والمعجب عند القتال منزلة خاصة ، فقد أخذ بيده في طريق الشهرة والمجد ، ونوه  
به ، وأشاع أدبه .

يقول المحي بعد أن مدحه <sup>(١)</sup> : « على أن ذلك دون استحقاقه ، بالنسبة لما منحني  
من كرم أخلاقه ؛ فإنه الذي رَوَّج بضاعتي المزجاة ، وشملني بالعلم والأناء ، ونوّه في  
وأشاع أدبي ، وكان لي مكان أبي » .

٣ - أبو محمد شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن علي النخعي ، المكي ، الشافعي ،  
المتوفى ، النقشبندی ، الحديث ، الفقيه ، المتوفى سنة ثلاثين ومائة وألف <sup>(٢)</sup> .  
أخذ عنه بالحرمين <sup>(٣)</sup> .

٤ - أحمد بن محمد بن عبد الوهاب ، الحنطلي ، المهنداري ، المفتي الحنفي بحجاب ، المتوفى  
سنة خمس ومائة وألف <sup>(٤)</sup> .

يقول المحي <sup>(٥)</sup> : « وهو أحمد بن حضرت عنده ، واقتدحت في الاستفادة زنده » .  
٥ - حسن العجيمي المكي .  
أخذ عنه بالحرمين <sup>(٦)</sup> .

٦ - حسين بن محمود بن محمد العدوي ، الزوكاري ، الصالحی ، القاضي ، الشافعي ،  
المتوفى سنة سبع وتسعين وألف <sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) خلاصة الأثر ١/٥١ ، وقد قال انبي قريباً من هذا ، في نفحة الريحانة ، صفحة ٥٦٧ من هذا الجزء .  
(٢) سلك الدرر ١/١٧١ .  
(٣) سلك الدرر ٤/٨٦ .  
(٤) ترجمة النقي ، في نفحة الريحانة ١/٥٦٠ - ٥٦٥ ، والمراد في سلك الدرر ١/١٨٦ - ١٩١ .  
(٥) نفحة الريحانة ١/٥٦١ .  
(٦) سلك الدرر ٤/٨٦ .  
(٧) ترجمة النقي في : خلاصة الأثر ٢/١١٦ - ١١٨ ، ونفحة الريحانة ١/٥٨١ .

يقول الحبي (١) : « وكنت في أيام الصبا تلقيت عنه بعض معلومات ؛ لاتصال شديد كان بينه وبين والدي ، رحمهما الله تعالى ، واستجزته ، فأجازني بمروياته » .

٧ - رمضان بن موسى بن محمد بن أحمد العطيفي ، الدمشقي ، الحنفي ، المتوفى سنة خمس وتسعين وألف (٢) .

يقول الحبي (٣) : « وكنت وصيائي عاطر النفحة ، لدن الفصن ناضر الصفحة ؛ حضرت دروسه في العربية ، وأخذت عنه أشياء من الفنون الأدبية » .

٨ - زين العابدين بن أحمد بن زين العابدين البكري ، الصديقي ، المصري ، المتوفى سنة سبع ومائة وألف (٤) .

٩ - عبد الباقي ، المعروف بعارف (٥) .

١٠ - أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العكري ، الصالحى ، الدمشقي ، الحنبلى ، المعروف بابن العماد ، المتوفى سنة تسع وثمانين وألف (٦) .

يقول الحبي (٧) : « وكنت في عتقوان عمري تلمذت له ، وأخذت عنه ، وكنت أرى لقيته فائدة أكتسبها ، وجملة نحر لا أتعبها ، فلزمته حتى قرأت عليه الصرف والحساب .

(١) خلاصة الأثر ١١٨/٢ ، وذكر قريباً منه في نفحة الريحانة ٥٨١/١ .

(٢) سلك الدرر ٨٦/٤ ، وقد ترجمه الحبي في : خلاصة الأثر ١٦٨/٢ ، ونفحة الريحانة ، ترجمة رقم ٥٧ ، صفحة ٥٧١ من هذا الجزء .

(٣) نفحة الريحانة ٥٧١/١ .

(٤) نفحة الريحانة ١٥/١ ، ٥١٦ ، وقد ترجمه الحبي ، في النفحة ، في القسم الخاص بعصر ، برقم ٣٢٥ ، وانظر سلك الدرر ١٥١/١ .

(٥) نفحة الريحانة ١٦/١ ، وقد ترجمه الحبي ، في النفحة ، في قسم الروم ، برقم ١٤١ .

(٦) سلك الدرر ٨٦/٤ ، وقد ترجمه الحبي في : خلاصة الأثر ٣٤٠/٢ .

(٧) خلاصة الأثر ٣٤١/٢ .

وكان يتحنن بفوائد جليلة ، ويلقيها على .

وحباني الدهر مدة بمجالسته ، فلم يزل يتردد إلى تردد الآسى إلى المريض ، حتى قدر الله تعالى لي الرحلة عن وطني إلى ديار الروم ، وطالت مدة غيبيتي ، وأنا أشوق إليه من كل شيق ، حتى ورد عليّ خبر موته وأنا بها .

١١ - عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الحنفي ، الدمشقي ، النشبدي ، القادري ، المتوفى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف (١) .

١٢ - عبد القادر بن بهاء الدين بن نيهان ، العمري ، الدمشقي ، الشافعي ، المعروف بابن عبد الهادي ، المتوفى سنة مائة وألف (٢) .

يقول الحبي (٣) : « وتصدر للإقراء ، فاشتغل عليه جمع كثير : منهم : ابن عمه عبد الجليل ، ورفيقي في الطلب محمد بن محمد القاضي المالكي بالحكمة الكبرى ، والفقيه ، قرأت أنا وإياه عليه طرفاً من شرح العضد على مختصر المنتهى لابن الحاجب في الأصول ، وشرح الرسالة الوضعية للعصام ، وكنا نطالع شرحه الذي وضعه على المختصر المذكور ، وحقق فيه التحقيق الذي ماوراءه غابة » .

١٣ - عثمان بن محمود بن حسن الكفرسوسي ، الشافعي ، الشيبير بالقفطان ، المتوفى سنة خمس عشرة ومائة وألف (٤) .

يقول الحبي (٥) : « وقد اتحدت به منذ عرفت الاتحاد ، فما رأيته مال عن طريق المودة » .

(١) سلك الدرر ٨٦/٤

وقد ترجمه البوريني ، في تراجم الأعيان ٢ / ٣٧١ ، والمرادي في سلك الدرر ٣ / ٣٠ ، والحبي في فحة الريحانة ، برقم ٧٢ .

(٢) سلك الدرر ٨٦/٤ .

وقد ترجمه الحبي في : خلاصة الأثر ٢ / ٤٣٧ ، وفحة الريحانة ، برقم ٥٩ ، صفحة ٥٨٦ من هذا الجزء .

(٣) خلاصة الأثر ٢ / ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

(٤) ترجمه الحبي في فحة الريحانة ١ / ٥٩٤ ، والمرادي في سلك الدرر ٣ / ١٦٧ - ١٧٠ .

(٥) فحة الريحانة ١ / ٥٩٤ .

ولا حاد ؛ وله على مشيخة أنا من بحرها أعترف ، وبألطافها الدائمة أعترف ؛ وكثيرا ماأرد ورده ، وأقتطف ربحانه وورده .

١٤ - علاء الدين محمد بن علي بن محمد ، الحصني الأصل ، الدمشقي ، المعروف بالحصكفي ، مفتي الحنفية في دمشق ، المتوفى سنة ثمان وثمانين وألف <sup>(١)</sup> .

يقول الحجي <sup>(٢)</sup> : « واشتغل عليه خلق كثير جدا ، وأخذوا عنه ، وانتفعوا به ... وحضرته أنا ، بحمد الله تعالى ، وهو يقرئ تنوير الأبصار في داره ، وتفسير البيضاوي ، في المدرسة التنوية ، والبخاري ، في الجامع الأموي ، وانتفعت به » .

١٥ - السيد محمد بن عمر العباسي ، الخلوتي ، الدمشقي ، الصالح ، الحنبلي ، المتوفى سنة ست وسبعين وألف <sup>(٣)</sup> .

أخذ عنه طريق الخلوتية <sup>(٤)</sup> .

وذكره الحجي ، فقال <sup>(٥)</sup> : « شيخنا في الطريق ... وقد وفقني الله تعالى للأخذ عنه ، والتبرك بدعواته ، وكان يتحفني بإمداداته الباطنية » .

وجدد الحجي العهد في هذا الطريق على السيد محمد غازي الخلوتي ، المتوفى سنة إحدى وثمانين وألف بحلب .

فقد ذكر في ترجمته <sup>(٦)</sup> ، أنه قدم دمشق مرتين ، وأخذ عنه الناس الطريق .

ثم قال : « وكنت أنا ، الفقير ، ممن جدّد عليه العهد » .

(١) سلك الدرر ٨٦/٤ .

وقد ترجمه الحجي ، في خلاصة الأثر ٦٣/٤ .

(٢) خلاصة الأثر ٦٣/٤ ، ٦٤ .

(٣) ترجمه الحجي ، في خلاصة الأثر ١٠٣/٤ .

(٤) خلاصة الأثر ١٠٣/٤ .

(٥) سلك الدرر ٨٦/٤ .

(٦) خلاصة الأثر ٢١٣/٤ .



١٦ - محمد بن لطف الله بن زكريا ، الشيبير بشيخ محمد العربي ، المتوفى سنة  
اثنين وتسعين وألف <sup>(١)</sup> .

١٧ - محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي ، ابن طاهر ، السوسي ، الروداني ، المغربي ،  
المالكي ، نزيل الحرمين ، المتوفى سنة أربع وتسعين وألف <sup>(٢)</sup> .  
أجاز له <sup>(٣)</sup> .

وذكر المحي أنهُ ورد دمشق ، وأقام بها ، ثم قال <sup>(٤)</sup> : « واجتمعت به ثمة مرة ،  
حسبة فاضل العصر ، ودرة قلادة الفخر ، المولى أحمد بن لطفي المنجم المولوي . . . قرأت  
مهاية العلم قد أخذت بأطرافه ، وحلاوة المنطق في محاسن أوصافه » .  
١٨ - محمود البصير الصالحى ، الدمشقى ، الشافعى ، المتوفى سنة أربع وثمانين  
وألف <sup>(٥)</sup> .

يقول المحي <sup>(٦)</sup> : « وأخذت أنا عنه المنطق ، والهندسة ، والكلام ، وكان هو لما  
أخذ الهندسة ، احتال على ضبط أشكالها بتمثيل من شمع عسلى ، كان يمثلها له أستاذه  
الشيخ رجب المذكور <sup>(٧)</sup> ، فضبطها ضبطاً قوياً ، فلما قرأت الهندسة عليه ، كنت أعجب  
من تصويره الأشكال ، كما أخذها عن أستاذه » .

١٩ - نجم الدين محمد بن يحيى بن تقي الدين بن عبادة بن هبة الله الفرضي ، الحلبي  
الأصل ، الدمشقي المولد ، الشافعي ، المتوفى سنة تسعين وألف <sup>(٨)</sup> .

(١) خلاصة الأثر ١٣١/٤ ، وثيقة الأريحا ٨/١

(٢) خلاصة الأثر ٢٠٤/٤ . (٣) سلك الدرر ٨٦/٤

(٤) خلاصة الأثر ٢٠٥/٤ (٥) سلك الدرر ٨٦/٤

وقد ترجمه المحي ، في خلاصة الأثر ٣٣٠/٤ .

(٦) خلاصة الأثر ٣٣٠/٤ ، ٣٣١ .

(٧) يعني الشيخ رجب بن حسين . (٨) سلك الدرر ٨٦/٤

وقد ترجمه المحي ، في خلاصة الأثر ٢٦٥/٤

يقول المحبى<sup>(١)</sup> : « كان أعظم شيخ أدر كناه ، واستفدنا منه ، . . . ثم جلس مجلس التدريس ، فانتفع به الفضلاء ، طبقة بعد طبقة ، وأدر كته أنا أولاً ، وهو يدرس دروساً خاصة ، بجامع بنى أمية ، فقرأت عليه الآجرومية ، ثم مات له ولد نجيب ، كان نبيل ، فانقطع عن الدرس مدة سنين . . . ثم جلس للتدريس العام ، فى محراب الحنابلة ، فأقرأ أولاً الآجرومية ، ثم شرحها للشيخ خالد ، ثم شرح الأزهريّة ، ثم شرع فى قراءة شرح القواعد للشيخ خالد ، وشرح تعريف العزى للتفتازانى ، ومن حين شروعه فيهما لزمته لزوماً لا انفكاك معه ، إلا بمجالس قليلة ، إلى أن أتمهما ، وأقرأ الشذور للقاضى زكريا ، وأتمه ، ثم حضرت عنده ابن المصنف إلى الاستثناء ، وسافرت إلى الروم . »

٢٠ - أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى النابلى ، الشاوى ، الملبانى ، الجزائرى ، المالكي ، المتوفى سنة ست وتسعين وألف<sup>(٢)</sup> .  
أجاز له<sup>(٣)</sup> .

يقول المحبى ، بعد أن ذكر رحلاته<sup>(٤)</sup> : « ثم رجع إلى الروم ، فأنزله مصطفى باشا مصاحب السلطان ، فى داره ، وكنت ، الفقير ، إذ ذاك بالروم ، فالتمت منه القراءة ، فأذن لى ، فشرعت أنا وجماعة من بلدنا دمشق وغيرها . . . فى القراءة عليه ، فقرأنا تفسير سورة الفاتحة من البيضاوى ، مع حاشية العصام ، ومختصر المعانى ، مع حاشية الحفيد ، والخطائى ، والألفية ، وبعض شرح الدوائى على العقائد العضدية .  
وأجازنا جميعاً بإجازة نظمها لنا .  
وكان ما كتبه لى هذا :

(١) خلاصة الأثر ٤/ ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٢) ترجمه المحبى ، فى خلاصة الأثر ٤/ ٤٨٦ - ٤٨٨ ، ونفحة الريحانة برقم ٣٧٣ .

(٣) سلك الدرر ٤/ ٨٦ .

(٤) خلاصة الأثر ٤/ ٨٧ .

الحمد لله الحميد ، والصلاة والسلام على الطاهر المجيد ، وعلى آله أهل التمجيد .  
 أجزت الإمام اللوذعي المعبراً أميناً أمين الدين روحاً مصوراً «  
 ثم ساق المحبي بقية القصيدة .

وهكذا استطاع المحبي أن يلتف العلم من أفواه كبار علماء عصره ، وأن يجلس إليهم  
 على اختلاف منابهم ، وتعدد مشاربهم ، فيصدر روي النفس ، كبير المحل في  
 العلم والأدب .

### ٣

وقد تلقى المحبي علومه الأولى في دمشق ، ثم حُبب إليه الارتحال ، فكانت رحلته  
 الأولى إلى ديار الروم ، مقر الخلافة ، حيث يقد العلماء من كل الأقطار .  
 ولست أدري ، على وجه التحديد ، متى كان سفره إلى الروم ، على أن ذلك لم يكن  
 قبل سنة إحدى وثمانين وألف ، فقد لقي شيخه إبراهيم الخياري في دمشق ، في هذه  
 السنة ، وأخذ عنه <sup>(١)</sup> .

كذلك فإن هذه الرحلة قد بدأت قبل سنة تسع وثمانين وألف ؛ لأن المحبي تلمذ  
 لعبد الحى بن أحمد العكري ، كما قال ، في عنقوان عمره ، ثم سافر إلى الروم ، وورد عليه  
 خبر موته وهو بها ، سنة تسع وثمانين وألف <sup>(٢)</sup> .

وكان دخول المحبي إلى القسطنطينية في ملك السلطان محمد خان الرابع ابن السلطان  
 إبراهيم خان <sup>(٣)</sup> ، وظل بها ملازماً لشيخه محمد بن لطف الله بن زكريا ، المشهور بشيخ  
 محمد العربي ، الذي استوفى من الصدارة تمام العزة ، وأوفى شرفه على كل الأعزة <sup>(٤)</sup> ،

(٢) خلاصة الأثر ٢/٣٤١

(٤) نغمة الريحانة ٨/١

(١) انظر ما تقدم في صفحة ٥ .

(٣) نغمة الريحانة ٧/١

حتى توفي سنة اثنتين وتسعين وألف<sup>(١)</sup> ، فعاد إلى دمشق<sup>(٢)</sup> .

واعل المحبي أقام في دمشق حتى سنة ثمان وتسعين وألف ، فإنه لازم شيخه إبراهيم ابن منصور القتال ، حتى توفي بها في هذه السنة<sup>(٣)</sup> .

ثم كانت رحلته إلى الحجاز للحج والمجاورة ، وهناك تلقى من الأفواه وعرف من المؤلفات ، ما جعل منه مادة لكتابه : خلاصة الأثر ، ونفحة الريحانة ، فيما يتصل بأخبار اليمن والبحرين والحجاز<sup>(٤)</sup> .

وحين فارق البيت الحرام ، عزم على الرحلة إلى القاهرة ، فتوجه أولا إلى الشام ، وظل بها منعزلا عن الناس ، حتى ورد إليها الأستاذ زين العابدين البكري ، فأخرجه من عزلته ، وأشار عليه بالرحلة معه إلى القاهرة ، حين هم بالرجوع إليها ، ولكن عائقا خلفه ، فظل بدمشق إلى أن قدم إليها المولى عبد الباقي ، المعروف بعارف ، في طريقه إلى القاهرة ، فصحبه إليها .

وفي القاهرة طابت له الحياة في ظل الأستاذ زين العابدين البكري ، والقاضي عبد الباقي ، المعروف بعارف<sup>(٥)</sup> .

واست أدرى متى غادر المحبي القاهرة إلى دمشق ، ولعله فعل ذلك بعد وفاة الأستاذ زين العابدين البكري ، سنة سبع ومائة وألف<sup>(٦)</sup> .

وقد اشتغل الأمين المحبي بالقضاء ، فنانب في مكة ، ومصر<sup>(٧)</sup> .

كما اشتغل بالتدريس ، بعد عوده من مصر ، حيث ولى تدريس الألفية ، وبقيت عليه إلى وفاته<sup>(٧)</sup> .

(١) خلاصة الأثر ١٤٢/٤

(٢) نفحة الريحانة ٩/١

(٣) خلاصة الأثر ٥٣/١

(٤) خلاصة الأثر ٥٣/١ ، ونفحة الريحانة ١٣/١ ، ١٤

(٥) نفحة الريحانة ١٧/١ ، ١٨

(٦) سلك الدرر ٨٦/٤

(٧) سلك الدرر ١٥١/١

وفي دمشق عانى الحبي من أمراض استولت عليه ، فقد ذكره الشمس الغزي ، في كتابه لطائف المنن ، فقال <sup>(١)</sup> : « اجتمعت به مرتين ، في خدمة والدي ؛ فإنه كان بينه وبين المترجم مودة أكيدة ، وسمعت من فوائده وشعره ، وكان قد أدركه الهرم ، بسبب استيلاء الأمراض عليه » .

#### ٤

توفي الحبي في ثامن عشر جمادى الأولى ، سنة إحدى عشرة ومائة وألف ، وصلى عليه الشيخ عثمان القطان ، في الجامع الأموي ، ودفن بقرية الذهبية ، من مرج الدحداح ، قبالة قبر العارف بالله أبي شامة <sup>(٢)</sup> .  
وقد أكثر أدباء دمشق في رثائه <sup>(٣)</sup> .

رثاه السيد مصطفى الصمادي بقصيدة ، أولها :

كن خليلي على البسكاء مغيثاً وأفض ماء مقاتيك مغيثاً  
ورثاه محمد صادق بن محمد ، الشيرازي الخراساني ، بقصيدة ، أولها <sup>(٤)</sup> :

هذا المصاب الذي كنا نجاذره القلب من هوله شقت مرأته

ورثاه محمد بن أحمد الكنجي ، بقصيدة ، أولها :

فما صاحبي أعيننا الحزينا وياعين سحبي على ما لقينا

ورثاه السيد سليمان الكاتب الجوى ، بقصيدة ، أولها :

لو يفدى الحي ميّتنا لفدينا بأعزّ النفوس منا الأميّنا

(١) نقل المرادي هذا ، في سلك الدرر ٤/ ٨٦ .

(٢) سلك الدرر ٤/ ٩١ ، وترجمة السؤال في لأستاذة الحبي ، في آخر ذيل النسخة .

(٣) ذكر هذه الرأى كلها السؤال في ، في ترجمة أستاذة الحبي ، في آخر ذيل النسخة ، وعنه أنقل .

(٤) أورد المرادي ، في سلك الدرر ٤/ ٩١ ثلاثة أبيات من أولها .

ورثاه عبد الحى بن على بن الطويل ، الشهير بالخال ، بقصيدة ، أولها :  
لو أسمعوا ناعيك رَضَوِي إذ نقي لَوْهِي وحال إلى الثرى متصدعاً

ورثاه القاضي زين الدين بن سلطان ، بقصيدة ، أولها :  
هَام حَوِي علماً وحاز فضائلاً بتأليفه قد شَرَّف الوقت والنادي

ورثاه عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرزاق ، بقصيدة ، أولها :  
خطبَ ألمَّ وأدمع تنقطرُ ونواب منها الحشا يتفطرُ

ورثاه مصطفى بن حمد التري ، بقصيدة ، أولها :  
وَقَعَ الحوادث فوق وقع الأسهم تُضَي القلوب بحرقة وتألّم  
ورثاه سمود بن يحيى العباسي ، الشهير بالمتنبى ، بقصيدة ، أولها :

عليك المعالي لا على البدر تأسفُ لأنك أسمى في الكمال وأشرفُ  
ورثاه محمد السمان ، بقصيدة ، أولها :

ما فوق خطب المنون طارقُ بصوته يصدع الخلائقُ  
ورثاه محمد الحمودي ، بقصيدة ، أولها :

أضحت ربوع الفضل بعدك خاليةً وغيوبهم من أجل فقدك باكيةً

٥

وحياة المحي حافلة بالإنتاج العلمي ، زاخرة بالمأثورات الأدبية ، والجهود الخلاقة ،  
في رفعة اللغة العربية وآدابها .

فهو صاحب نثر فني يقارع به كتاب عصره ، ويغلبهم على ما أرادوا ، من سجع  
ملتزم ، وازدواج يسيطر على أسلوبهم .

تجد هذا واضحا في صدر التراجم التي أثبتتها لمعاصريه ، في خلاصة الأثر ، وفي نفحة

الريحانة ، كما تجده فيما دار بينه وبينهم من مراسلات ومحاورات .  
ولقد ساق في آخر نفحة الريحانة<sup>(١)</sup> فصلا ، أورد فيه طرفا من فصوله القصار ، يدل  
على إجادته صنعة الكتابة وإحكامه لها .

وكما برع المحي في النثر ، فقد ضرب بسهم وافر في الشعر ، والنفحة<sup>(٢)</sup> مشحونة  
بمعارضاته ومراسلاته للشعراء ، كذلك فقد أورد طرفا من شعره في خلاصة الأثر .  
وأول شعر قاله ، في فراق ترب له وحبيب ، وقد ساقه السؤل الآتي ، في ترجمته لأستاذه ،  
في آخر ذيل النفحة ، كما نقله عنه المرادى .

يقول المرادى<sup>(٣)</sup> : « وكان له ترب بدمشق ، ألف بينهما المكتتب ، وحبيب كان  
يرتفع معه أيام الصبا ويلعب ، فكان فراقه عنده من أعظم ذنوب البين ، وفي المثل : أقبح  
ذنوب الدهر تفريق المحبين ، فكتب هذه الأبيات ، وهي أول ما سمع به فكره من النظم :

لا كانت الدنيا وأنت بعيد	يا واحدأنا في هواه وحيد
يا من أبست لهجره ثوب الضنى	وخلعت برؤد الهوى وهو جديد
وتركت لذات الوجود بأسرها	حتى استوى المعلوم والموجود
قسما بما ألقى عليك من العدى	ومحب وجهك في الورى محسود
إن الحب كما علمت صباية	فالمسير ينقص والغرام يزيد
ولقد ملأت القلب منك مهابة	فعلى منك إذا خلوت شهيد
والحرص مذموم بإجماع الورى	إلا عليك فإنه محمود

وفي الفصل الذى تحدث فيه المحي عن نفسه ، في آخر نفحة الريحانة ، ساق جملة من

(١) لوحات ١٣٤٥ - ٣٤٧ ب ، من النسخة ١ .

(٢) سيضمن فهرسا الأعلام والفواقي بيان ذلك .

(٣) سلك الدرر ٨٧/٤ .